

هل يوجد برنامج يهودى عالمى محدد؟

فى كل محاولات تفسير مشاعر العدا لليهود، يزعم أولئك الذين يتحدثون باسم اليهود بوجود ثلاثة أسباب شائعة: التحامل الدينى، الغيرة من النجاح الاقتصادى، النفور الاجتماعى.

وإذا ما كان اليهودى على دراية بذلك أم لا، فإن كل الأغيار من جانبهم يعلمون أنه حينما يتعلق الأمر بالمسألة اليهودية، فإن التحامل الدينى لا وجود له. ربما توجد غير من النجاح الاقتصادى، على الأقل إلى الحد الذى يتعرض له أصحاب النجاح المطرد. البعض من المتحدثين باسم اليهود يعمدون إلى قلب هذا الانتقاد وذلك بإنكار أن اليهود متفوقون فى الأعمال المالية، ولكن هذا هو الولاء فى أكثر صورته تطرفاً. ذلك أن الأعمال المالية العالمية واقعة فى قبضة اليهود؛ فقراراتهم ووسائلهم هى ذاتها قوانيننا الاقتصادية. ولكن كونهم أناساً يتفوقون علينا فى الاقتصاديات ليس بسبب كاف لأن نطالبهم بالوقوف أمام محكمة الرأى العام. وإذا كانوا أكثر ذكاءً وأكثر اجتهاداً ومثابرة منا، وإذا كانوا يتمتعون بمواهب حرمانها منها باعتبارنا جنساً بشرياً فى مرتبة أدنى منهم، فإن هذا ليس مبرراً لأن نطلب منهم أن يقدموا لنا تقريراً عن أنفسهم. قد يكون بالإمكان تفسير بعض مشاعر العدا لليهود فى إطار الغيرة الاقتصادية؛ ولكنها لا يمكن أن تكون مسؤولة عن المسألة اليهودية، إلا كما تصبح الأسباب الخفية للنجاحات المالية التى يحققها اليهود، عنصراً ضئيلاً فى المشكلة ككل.

أما فيما يتعلق بالنفور الاجتماعى - فهناك الكثيرون من غير اليهود غير مرغوب فيهم فى العالم أكثر مما يوجد يهود غير مرغوب فيهم، ولسبب بسيط هو أن أعداد غير اليهود أكبر بكثير من اليهود.

ولا يذكر أولئك الذين يتحدثون باسم اليهود المجال السياسى، وحتى حين يلوحون به، فهم يحصرونه فى موضوعات محلية. وهو ليس موضوع وطنية

اليهود، رغم أن هذا الأمر محل نقاش كبير في كل الأقطار. ويمكن أن تسمع ذلك النقاش في إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، روسيا، رومانيا، وبنوع من الصدمة في الولايات المتحدة. ولقد ألفت كتب ونشرت تقارير وزعت بالخارج، وبها إحصائيات وضعت بمهارة؛ لإظهار كيف أن اليهودى يقوم بواجبه في البلد التى يقطن بها؛ ومع ذلك تظل الحقيقة قائمة أنه رغم كل هذه الحملات التى لا تخلو من حماسة وترعاها النخبة، فإن الرأى المضاد هو أقوى ويدوم أطول. فاليهود الذين قاموا بواجبهم فى جيوش التحرير وفعلوها بلاشك بدافع الحب الحقيقى والولاء، لم يتمكنوا من التغلب على الانطباع السائد عن الضباط والرجال والمدنيين من أولئك اليهود الذين لم يقوموا بواجبهم.

ولكن ليس هذا ما نغنيه عند الحديث عن العنصر السياسى فى المسألة اليهودية، ذلك أنه ليس مستعصيا على الفهم أن نعرف لماذا ينظر اليهودى إلى قوميات العالم المختلفة بطريقة دونية لا تماثل نظرة أولئك الذين يشكلون هذه القوميات لبعضهم البعض. ذلك أن تاريخ اليهودى هو عبارة عن تجوال بين هذه القوميات كلها، وإذا ما أخذنا الأفراد الأحياء فقط، يمكن القول بأنه لا يوجد جنس بشرى على سطح الكوكب عاش فى أماكن كثيرة جدا وبين مجتمعات كثيرة مثلما عاشت جماهير اليهود، ذلك أن العالم كله كان بمثابة مسار لهم، وهم يفكرون بطريقة عالمية أكثر مما يفكر الناس المحكومون بتوجهاتهم القومية. يمكن إيجاد الأعدار لليهودى إذا لم يدخل فى الولاءات والتحيزات القومية بذات القوة التى ينتمى بها السكان الأصليون، فاليهودى معروف لقرون طويلة بكونه كونياً عالمياً^(*)، يعتبر كل الأرض وطناً له، وهو سوف يمارس السلوك الصحيح الذى يليق به كمواطن أو مقيم تحت العلم الوطنى، إلا أنه من المحتم أن رؤيته وتصوره للأعلام لا يمكن أن يشاركه فيها الشخص الذى لم يعرف سوى علم واحد طيلة حياته.

أما العنصر السياسى فهو ملازم لحقيقة أن اليهودى يشكل أمة من داخل أمة، والبعض من المتحدثين باسم اليهود- ولاسيما فى الولايات المتحدة - ينكرون هذا الأمر، ولكن أصالة اليهودى نفسه أخجلت حمية أولئك المتحدثين. ولم يكن من

(*) عولميا بلغة العصر

الواضح دائما لماذا هذا الإنكار العنيف لهذه الحقيقة، ولربما إذا ارتأت إسرائيل (*) أن مهمتها في الحياة لن تتحقق من خلال وسائل مثل العجل الذهبي، فإن طبيعتها الكونية والعالمية فيما يخص علاقتها بالعالم، وتكاملها القومي الذي لا مفر منه فيما يخص علاقتها مع ذاتها، كلا الأمرين سوف يثبت أنه عامل شديد النفع لتحقيق الوحدة الإنسانية، وهو الأمر الذي تسعى الاتجاهات اليهودية الحالية لمنع حدوثه. وليست المسألة أن يظل اليهود أمة في وسط أمم، وإنما الأمر الأساسي يتعلق باستغلال هذه المكانة التي لا مفر منها، وهو أمر شجبه العالم بأسره. وقد بذلت العديد من الأمم المحاولات لإدماج اليهود وتوحيدهم داخلها؛ وهناك محاولات قام بها اليهود أنفسهم للاندماج، غير أنه على ما يبدو أن القدر قد أحصرهم في قوميتهم المستمرة، وعلى كل من اليهود والعالم أن يتقبلا هذه الحقيقة والنبوءة الجيدة فيها والبحث عن قنوات تحقيقها.

يعد ثيودور هيرتزل أحد أعظم اليهود الذين قدموا شروحات تميزت ببعد النظر فيما يخص فلسفة الوجود اليهودي والتي عرفتها الأجيال الحديثة. ولم يخالطه شك قط في وجود الأمة اليهودية. لقد كان يعلن عن وجودها في كل المناسبات وكان يقول "نحن أمة - أمة واحدة".

ومن الواضح أنه كان يعتقد بأن ما أسماه بالمسألة اليهودية هي بالأساس سياسية. ويبدو ذلك جليا في مقدمة كتابه «الدولة اليهودية» حيث يقول "أنا أو من بأننى أفهم معاداة السامية والتي هي حركة بالغة التعقيد. وأنا أنظر لها من وجهة نظر يهودية ولكن بدون خوف أو كراهية، وأنا أو من أيضا بأنه بإمكانى معرفة العناصر التي تتشكل منها الرياضة الجماهيرية، من الغيرة التجارية الشائعة، من التحامل والتحيزات الموروثة، من عدم التسامح الدينى، وكذلك من النظار بالذفاع عن النفس. أنا أعتقد أن المسألة اليهودية ليست اجتماعية أكثر مما هي دينية، مع أنها أحيانا ماتأخذ هذا الشكل أو أشكالاً أخرى. إنها مسألة قومية يمكن حلها فقط بجعلها مسألة عالمية سياسية، يتم تدارسها بواسطة مجلس من الأمم المتحضرة في العالم".

ولم يعلن هيرتزل أن اليهود يشكلون أمة فحسب، وإنما حينما سأله الميجور

(*) المقصود بنى إسرائيل، فلم تكن هناك دولة إسرائيل وقت كتابة المقال عام ١٩٢٠م.

إيفانز جوردون أمام اللجنة الملكية البريطانية لهجرة الأجانب في أغسطس ١٩٠٢، قال د. هيرتزل " سأقدم لكم تعريفي للأمة، وبإمكاتكم أن تضيفوا صفة "اليهودى". الأمة هى، فى رأى، مجموعة تاريخية من الأشخاص الذين يربط بينهم عدو مشترك. هذا فى رأى هو تعريف الأمة. ثم إذا أضفت إلى ذلك كلمة "يهودى: سيكون لديك ما أعرفه بأنه الأمة اليهودية".

وأيضا فى محاولة ربط فعل الأمة اليهودية بالعالم، كتب د. هيرتزل يقول — " فى أوقات التدهور، نصبح البروليتاريا الثورية، الضباط التابعين فى الحزب الثورى ؛ ولكن حينما نصعد تصعد معنا أيضا قوتنا المالية المفزعة".

وتبدو وجهة النظر تلك صحيحة؛ لكونها استقرت مدة أطول فى أدبيات الفكر اليهودى، وقد تحدث عنها أيضا اللورد يوستاس بيرسى وأعيد نشرها غالبا بموافقة الجويش كرونيكل الكندية. وهى تستحق قراءة متأنية:

« إن كلاً من الليبرالية والقومية فتحنا أبواب الجيتوهات على مصراعيها وقدمت حقوق مواطنة مساوية لليهود. انتقل اليهودى إلى داخل العالم الغربى وأدرك قوته ومجده، فاستغله وتمتع به، ووضع يديه بالفعل على المراكز العصبية الرئيسية لتلك الحضارة، وأدارها واستغلها ثم بعد ذلك رفض العرض. علاوة على ذلك - وهذا أمر مثير للدهشة - فإن أوروبا الليبرالية والقومية ، أوروبا الحكومة العلمية والمساواة والديمقراطية كانت أقل تسامحا مع اليهود عن أوروبا القديمة، أوروبا القهر والاضطهاد والاستبداد، ومع التماسك المتزايد للدول الغربية، لم يعد من الممكن الاعتماد على التسامح التام.

وفى عالم من المناطق ذات السيادة محكمة التنظيم، فإن (اليهودى) لديه خياران فقط يستطيع أن يلجأ إليهما: فإما أن يهدم أسس نظام الدولة القومية، أو أن يخلق أرضاً ذات سيادة خاصة به. وربما يكمن هنا تفسير كل من البولشفية اليهودية والصهيونية؛ لأنه آنذاك كان يهودو الشرق مترددين ما بين الأيديولوجيتين.

فى أوروبا الشرقية بدا وكأن كلاً من البولشفية والصهيونية ينموان بجانب بعضهما البعض، تماماً كما شكلت التأثيرات اليهودية الفكر الجمهورى

والاشتراكي خلال القرن التاسع عشر، مروراً بثورة شباب الأتراك في القسطنطينية منذ حوالى حقبة مضت، ولم يكن هذا سببه أن اليهودى يهتم بالجوانب الإيجابية للفلسفة الراديكالية، أو بسبب أنه يرغب فى أن يكون مشاركاً فى قومية أو ديموقراطية الأغيار، وإنما يعود الأمر بالأساس إلى أن اليهود يعتبرون كل أنظمة الحكم التى وضعها غير اليهود، نظماً بغيضة فاشلة .»

كل هذا حقيقى، والمفكرون اليهود الأكثر جرأة يعترفون بكونه أمراً صحيحاً، فاليهودى ضد مشروع الأغيار، فهو إذا ما سمح لميوله بالانطلاق، جمهورى ضد الملكية، واشتراكي ضد الجمهورية، وبولشفى ضد الاشتراكية.

فماهى أسباب هذا النشاط المتناقض؟ أو لا النقص الجوهرى للديموقراطية. فاليهودى بطبعه أوتوقراطى^(*)، وهو يعتبر أن الديموقراطية أمر جيد بالنسبة لبقية أنحاء العالم، ولكن أينما وجد اليهودى فهو يعمل على خلق أurstقراطية بشكل ما أو بآخر. الديموقراطية ماهي إلا أداة يستخدمها مثيرو الفتن اليهود فى الأماكن التى يتعرضون فيها للاضطهاد؛ ليرفعوا أنفسهم إلى مصاف الناس العاديين؛ ولكن حالما وصلوا إلى مستوى العامة، فهم سرعاناً ما يبذلون جهوداً للحصول على امتيازات خاصة- وكأنها حق لهم- وهى عملية كان مؤتمر السلام الأخير هو المثال الأبرز له، حيث حصلوا على امتيازات، بل إن الاتفاقية العالمية للسلام التى وقعت فيما بعد، دونت فيها الامتيازات التى منحت لليهود. إن اليهود اليوم هم الوحيدون الذين كتبت الامتيازات الخاصة التى منحت لهم فى الاتفاقية العالمية للسلام. وسيأتى تفاصيل هذا الأمر فى وقت لاحق. لا أحد اليوم يتظاهر بإنكار هذا الأمر- فيما عدا عدداً قليلاً من المتحدثين باسم اليهود الذين لا يتحكمون فى فكر اليهود، وإنما يسعون لفائدة إحداث تأثير على فكر غير اليهود، غير أن هؤلاء لا يستطيعون إنكار أن العناصر الاقتصادية والاجتماعية المضطربة فى العالم اليوم لا تديرها المصالح اليهودية فحسب وإنما تمليها أيضاً. ولقد ظلت هذه الحقيقة غير مؤكدة لمدة طويلة وذلك بسبب إنكار اليهود الشديد، وكذلك أيضاً بسبب نقص المعلومات لدى وكالات الدعاية التى توجه لها الجمهور فى سعيه للحصول على المعلومات. ولكن الآن الحقائق آتية . كما أن كلمات هيرترزل أثبتت أنها حقيقة: " فى أوقات

(*) استبدادى

الستدهور نصبح البروليتاريا الثورية، الضباط التابعين فى الحزب الثورى" - هذه الكلمات نشرت لأول مرة باللغة الإنجليزية فى ١٨٩٦ أى منذ حوالى أربعة وعشرين عاماً.

هذا الأمر يسير فى اتجاهين؛ الأول هو تحطيم كل دول الأغبار فى جميع أنحاء العالم، أما الاتجاه الثانى فكان يسعى لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين. هذا المشروع الأخير باركه العالم بأكمله ولكنه بعيد تماماً عن أن يلقى مباركة من كل أو حتى الجزء الأكبر من اليهود. إن الحزب الصهيونى قام بعمل لفظ لتحقيق هذا المشروع، ولكنه يظل أقلية غير ممثلة، ولا يمكن وصفه إلا بأنه ليس أكثر من مخطط استعمارى طموح وشاذ. ومما لاشك فيه أن هذا المشروع سيكون بمثابة ستارة للاستمرار فى الأنشطة السرية.

اليهود العالميون المسيطرون على النفوذ المالى والحكومى قد يتقابلون فى أى مكان وفى أى وقت، فى وقت الحرب أو وقت السلم، ثم يعلنون أنهم ينظرون فى طرق ووسائل فتح فلسطين لليهود، وبالتالي يصبح من السهولة أن ينجوا من الشكوك فى أنهم مجتمعون لأسباب أخرى. وهكذا تقابل حلفاء وأعداء الجنتيل (الأمم من غير اليهود) فى وقت الحرب بدون أن يتعرضوا للمضايقة. وكان المؤتمر الصهيونى السادس الذى عقد فى ١٩٠٣ قد تنبأ بالحرب الحالية [الحرب العالمية الأولى] والإشارة إلى نتائجها وتطورها، كما تم وضع إطار علاقة اليهود بمعاهدة السلام.

بمعنى آخر فرغم أن القومية اليهودية موجودة، فإن تقديمها فى صورة دولة يتم إنشاؤها فى فلسطين ليس المشروع الذى يشغل كل الأمة اليهودية الآن. فاليهود لن ينتقلوا إلى فلسطين بعد؛ وربما يمكن القول بأنهم قد لا ينتقلون على الإطلاق بسبب الحركة الصهيونية. وإنما هناك دافع آخر من شأنه أن يكون السبب الذى سيدفع باليهود للخروج من بلاد الأغبار، وسيحدث هذا الخروج حينما يحين الوقت المناسب لذلك.

وكما يقول الراحل دونالد. إيه. كاميرون، القنصل العام البريطانى فى الإسكندرية، والذى كان شديد التعاطف مع الحركة الصهيونية، والذى تستشهد به الصحافة اليهودية كثيراً: " إن المهاجرين اليهود (إلى فلسطين) سوف يصيبهم

الكلل (الستعب) من أن يتقاضوا ما نسبته ثلاثة بالمائة مقابل غسل ملابس بعضهم البعض، ومن كسب أموال بعضهم البعض داخل العائلة الواحدة ، بينما أبنائهم يذهبون بالقطار والبواخر إلى مصر للفوز بعشرة فى المائة، إن اليهودى وحده فى فلسطين سوف يأكل نفسه، وسوف يدمر استقراره إلى شظايا (أو يدمر اصطبله) "مما لاشك فيه أن وقت الخروج - أعلى الأقل الدافع لهذا الخروج- لم يأت بعد".

إن الجانب السياسى للمسألة اليهودية والتي يتورط فيها على الأقل ثلاث من أكبر الأمم- فرنسا ، بريطانيا والولايات المتحدة - له علاقة بأمر التنظيم الحالى للأمم اليهودية. هل تنتظر حتى تصل لفلسطين وتقيم دولة؟ أم هى دولة منظمة الآن؟ هل يعلم اليهود ما يفعلونه؟ هل لديهم "سياسة خارجية" فيما يتعلق بالأغيار؟ هل هناك وزارة لتنفيذ هذه السياسة الخارجية؟ هل هذه الدولة اليهودية موجودة - سواء ظاهرة أم لا - وإذا وجدت هل لها رئيس؟ هل هناك مجلس للدولة؟ وإذا كان أى من هذه الامور حقيقياً، من هو الذى على علم بها؟

إن الإجابة التي يندفع تجاهها عقل الأغيار سيكون "لا" لكل هذه الاسئلة- وقد اعتاد الأغيار أن يجيبوا بهذا التهور. فهم لم يدرّبوا على السرية أو الوحدة غير الظاهرة، فالأغيار يستتجون على الفور بأن هذه الأمور لا يمكن أن تحدث.

المسألة، برغم الإجابات السابقة تتطلب تقديم تفسيرات للأحوال الواضحة أمام الناس. فإذا لم يكن هناك اتحاد لليهود فى العالم بشكل متعمد، فإن السيطرة التي حققوها وتناسق السياسات التي يتبعونها لا بد وأن تكون النتيجة الحتمية نظراً للطبيعة المشابهة التي تجمع اليهود معا مما يجعلهم يعملون بذات الطريقة، وليس فقط نتيجة قرارات تتخذ بشكل متعمد. وربما يمكن تشبيه هذا الأمر بالمثال البريطانى، حيث دفعهم [البريطانيين] حبهم للمغامرة فى البحار إلى الأمام، وبالتالي جعل منهم أعظم استعماريى العالم. إن المنطق الذى أسس للإمبراطورية البريطانية ليس لأن البريطانى قد قرر بشكل منفرد ورسمى أن يكون مستعمراً وإنما هو نتيجة لطبيعته، ولكن هل هذا سبب كاف لتفسير الإمبراطورية البريطانية؟

مما لاشك فيه أن اليهود لديهم الخصلة التي تجعلهم يحققون ما يفعلونه ويتفوقون فيه أينما ذهبوا. ولكن هل هذا يفسر العلاقات التي توجد بين اليهود فى كل البلاد، ولمجالسهم العالمية، ولتوقعهم بالأحداث الهائلة، والتي تحدث صدى

مفاجئاً بالنسبة لبقية أنحاء العالم؟، وللهدوء والجهوزية حينما ظهروا فى باريس فى وقت ما ببرنامج عالمى بدا وأنهم أجمعوا عليه؟.

لقد خامرت العالم شكوك لفترة طويلة - فى البداية كان عدد المتشككين قليلاً ثم ازداد شيئاً فشيئاً؛ ليضم الإدارات السرية فى الحكومة، ثم المفكرين، ثم شيئاً فشيئاً الناس العاديين أنفسهم - وكانت الشكوك تدور حول أن اليهود ليسوا فقط أمة متميزة عن غيرها من الأمم الأخرى، ولكنهم غير قادرين على تخطى هويتهم القومية-، وليس ثمة وسيلة يمكن لهم وللعالم أن يتبنيها لتحقيق هذا الهدف [إذابتهم فى الدول التى يعيشون فيها] ، ولكن هم أيضا يشكلون دولة ؛ وأنهم لديهم وعى بقوميتهم، ليس هذا فقط بل أيضا هم متحدون بوعى من أجل الدفاع المشترك ولهدف مشترك. بالعودة إلى تعريف ثيودور هيرتزل للأمة اليهودية، وأن سبب اتحادها هو عدو مشترك، ثم التفكير بأن هذا العدو المشترك هو عالم الأعداء. فهل هؤلاء الناس الذين يرون أنفسهم على أنهم أمة تترك نفسها غير منظمة أمام هذه الحقيقة؟ هذا أمر لا يتناسب مع الذكاء اليهودى فى مجالات أخرى. وحينما ترى كيف أن اليهود متحدون من خلال منظمات موجودة فى الولايات المتحدة ، وإذا رأيت كيف أنه بيد خبيرة يتم حفز هذه المنظمات على العمل بكل ثقة فى فاعلية الضغوط التى تمارسها، فعلى الأقل ليس من غير المتصور أن مايمكن فعله - أو ماتم عمله بالفعل - فى دولة ما يمكن تكراره بين كل الدول التى يعيش اليهود فيها.

وعلى أى حال، فى دورية العبرى الأمريكى عدد ٢٥ يونيه، ١٩٢٠، كتب هيرمان بيرنشتاين يقول: " منذ حوالى عام أرسل لى ممثل من وزارة العدل نسخة من وثيقة "الخطر اليهودى" التى كتبها البروفيسور نيلوس، وطلب رأى فى مثل هذا العمل، وقال إن الوثيقة هى ترجمة لكتاب روسى نشر فى العام ١٩٠٥، وتم منعه. كان من المفترض أن تحتوى الوثيقة على "بروتوكولات حكماء صهيون وكان من المفترض أن يكون هيرتزل قد قرأ هذا الكتاب فى مؤتمر سرى للمجلس الصهيونى فى بازل بسويسرا. ولقد أعرب (بيرنشتاين) أنه ربما كان هذا العمل للدكتور ثيودور هيرتزل ... ويقول إن بعض أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى الذين رأوا هذه الوثيقة أعربوا عن دهشتهم لمعرفة أن المخطط يتم إعداده منذ سنوات

طويلة مضت من قبل اليهود، والآن دخل في حيز التنفيذ، وأن البولشفية كان مخططا لها منذ سنوات طويلة مضت بواسطة اليهود الذين سعوا لتدمير العالم".

يسجل هذا الاقتباس حقيقة أن ممثلا من وزارة العدل من حكومة الولايات المتحدة هو الذي قدم هذه الوثيقة للسيد بيرنشتاين، بل وقد قال على وجه التحديد: "إن هذا العمل ربما كتبه ثيودر هيرتزل نفسه"، وكذلك "إن بعض أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكيين" كانوا مندهشين لملاحظة المقارنة بين ما اقترحته مطبوعة في العام ١٩٠٥ وما كشف عنه العام ١٩٢٠.

هذه الحادثة تشغل البال؛ لأنها وقعت بسبب فعل ممثل حكومة، هذه الحكومة ذاتها هي اليوم- إلى حد كبير- في أيدي أو تحت تأثير المصالح اليهودية. إنه من المحتمل أنه بمجرد أن تُعرف هذه الأنشطة، أن يتم توقيف المحقق. ولكن أيضا من المحتمل أنه مهما كانت الأوامر والتعليمات المعطاة وعلى ما يبدو تم إطاعتها، فإن التحقيق والتحرى لم يتوقف.

لقد كانت حكومة الولايات المتحدة متأخرة بعض الشيء في الأمر رغم أنه كانت هناك على الأقل أربعة قوى عالمية سبقتها إلى ذلك، البعض يعود إلى سنوات طويلة مضت. نسخة من البروتوكولات موجود بالمتحف البريطاني، وتحمل ختم تلك المؤسسة "أغسطس ١٠، ١٩٠٦" بينما المذكرات نفسها ربما تعود إلى العام ١٨٩٦، أو العام الذي تفوه به هيرتزل بالاقتباسات التي سبق وذكرت على لسان د. هيرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في العام ١٨٩٧.

وقد نشرت الوثيقة حديثاً في بريطانيا تحت إشراف هيئات....(عارضت إثارة الاهتمام حول البروتوكولات) رغم العنوان المشئوم الذي نشرت تحته. إير وسپوتيسوود الطابعان المعينان من قبل الحكومة البريطانية، هما اللذان أحضرا إليهما الوثيقة. بدا هذا الأمر وكأن مكتب الطباعة التابع للحكومة في واشنطن هو الذي عليه أن يصدر هذا المنشور في البلاد، وبينما كانت هناك الصرخة المعتادة من قبل الصحافة اليهودية، فإن جريدة التايمز اللندنية في تعليقها ذكرت بأن كل الهجوم اليهودي المضاد "ليس مرضيا" (ليس مقنعا).

وقد لاحظت التايمز ذات الحالة تقريبا في هذه البلاد أيضا، وهو أن المدافعين

اليهود يتركون نص البروتوكولات على جانب ، بينما يركزون تركيزاً شديداً على حقيقة أنها بلا توقيع. وحينما يشيرون إلى محتوى الوثائق، هناك صيغة واحدة من الكلمات غالباً ما تستخدم وهي "أنها من عمل شخص مجرم أو مجنون".

إن البروتوكولات، بدون أى أسماء ملحقه بها، ظهرت فى الجزء الأكبر فى صورة مخطوطات هنا وهناك، حيث تم نسخها بصعوبة من يد ليد، ولم تشرف عليها أى هيئة، ولا كانت على استعداد للوقوف وراءها، وقد درست بجدية فى الإدارات السرية للحكومات، ومرت من مسئول رفيع إلى آخر، وعاشت طويلاً وتزايد نفوذها وهيبتها فقط من خلال قوة محتواها. وهى إنجاز رائع لمجرم أو لرجل مجنون! أما الدليل الوحيد الذى تملكه، فهو ما تحتوى عليه، وهذا الدليل الداخلى هو— كما أشارت التاييمز اللندنية — النقطة التى تجذب الاهتمام، وهى ذات النقطة التى تبذل الجهود اليهودية لسحبنا بعيداً عنها.

إن أهمية البروتوكولات فى هذا الوقت^(*) يكمن فى تأثيرها على الأسئلة الآتية: هل لدى اليهود نظام عالمى منظم؟ وماهى سياسته؟ وكيف يعمل؟

هذه الأسئلة تلقى كل الاهتمام فى البروتوكولات. أى من كان العقل المدبر وراءها فهو لا شك كان يملك معرفة بالطبيعة الإنسانية، بالتاريخ، وبصناعة الدولة، وهو مدهش فى اكتماله، ومرعب فى الأشياء التى تمارس نفوذها عليها. هو ليس رجلاً مجنوناً وليس مجرماً متعمداً، ولكن من المحتمل أكثر أنه عقل متفوق يسيطر عليه ولاء لشعب وديانة، ذلك إذا كان بالفعل هناك عقل واحد وراء هذه البروتوكولات. إنه حقيقى بشكل مفرع لأن يكون أمراً خيالياً، ومتماسكاً جداً لأن يكون مجرد تكهنات، ويحوى معرفة عميقة بالشرك السرية لحياة التزييف.

إن الهجوم اليهودى على هذه البروتوكولات يركز بشكل كبير على حقيقة أنها خرجت من روسيا، ولكن هذا الأمر بالكاد حقيقى. لقد جاءت هذه البروتوكولات عن طريق روسيا؛ لأنها ألحقت بإحدى الكتب الروسية التى نشرت فى العام ١٩٠٥ بواسطة البروفيسور نيلوس الذى سعى إلى قراءة البروتوكولات من خلال الأحداث الواقعة فى روسيا آنذاك. هذا النشر والتفسير هو ما أعطى تلك البروتوكولات صبغة روسية، الأمر الذى أفاد منه خبراء الدعاية لليهود فى هذه البلاد، وفى

(*) عام ١٩٢٠، حين كتب هنرى فورد مقالة فى ديريورن بالولايات المتحدة.

انجلترا كذلك؛ لأن هؤلاء الخبراء نجحوا في تلقين العقل الأنجلو - ساكسونى بفكر معين عن روسيا والروس. خبراء الدعاية لليهود أولئك مسئولون عن أكبر خدعة حاكوها وانخدع بها العالم - ولاسيما الرأى العام الأمريكى - فيما يتعلق بالمزاج والنبوغ الحقيقين للشعب الروسى. وبالتالي فإن القول بأن البروتوكولات روسية الأصل يعنى جزئيا إفقادها المصادقية.

يوضح الدليل الداخلى أن البروتوكولات لم يكتبها شخص روسى، بل لم تكتب أساسا باللغة الروسية ولا تحت تأثير الأحوال فى روسيا، ولكن ما حدث هو أنها وجدت طريقها إلى روسيا وطبعت أول ما طبعت هناك. وقد عثر عليها ضباط ديپلوماسيون فى شكل مخطوطات. وفى كل مكان استطاع النفوذ اليهودى أن يمنع ظهورها، قام بذلك، وأحيانا من خلال أقصى العقوبة.

استمرارية وبقاء هذه البروتوكولات هى حقيقة تشكل تحدياً للعقل. قد يفسر الاعتذاريون اليهود هذه الاستمرارية على أساس أن البروتوكولات تغذى مشاعر معاداة السامية، وبالتالي يتم الاحتفاظ بها لخدمة هذا الغرض. وبالتأكيد لم تكن هناك مشاعر معادية للسامية عميقة أو كبيرة فى الولايات المتحدة آنذاك لتغذيتها، أو فى حاجة إلى عدد من الأكاذيب المقبولة لتحيها. إن انتشار البروتوكولات فى الولايات المتحدة يمكن تفسيره على أساس أنها تلقى الضوء وتعطى معنى لبعض الحقائق التى سبق ولاحظناها، وأن هذا الضوء والمعنى يثيران الدهشة بشكل يعطى أهمية ومنزلة لهذه الوثائق التى لا تتسب لأحد. إن الأكاذيب الصرفة لا تعيش طويلا، ذلك أن قوتها سرعان ماتخفت، أما هذه البروتوكولات فهى مليئة بالحياة أكثر من ذى قبل . لقد اخترقت المناصب العليا أكثر من ذى قبل، ولقد تطلبت هذه البروتوكولات مواقف جادة تجاهها أكثر من أى وقت مضى.

إن البروتوكولات لم تكن لتستحق الدراسة إذا كانت على سبيل المثال مهمورة بتوقيع ثيودر هيرتزل، ذلك أن كونها غير مهمورة بتوقيع ما لا يقلل من أهميتها بمثل ما لايؤثر إزالة توقيع الرسام ولا ينقص من الأهمية الفنية للوحة. بالفعل إن من الأفضل أن تكون البروتوكولات بدون مصدر معروف. لأنه كان معروفا بالقطع فى فرنسا أو سويسرا أنه فى العام ١٨٩٦ استجتمعت جماعة من اليهود العالميين فى مؤتمر لتضع برنامجا لغزو العالم، ومازال يجب التدليل على أن مثل

هذا البرنامج كان أكثر من مجرد وهم وتخيل، وأن هذا البرنامج تم تثبيته وتعزيزه فى الجزء الأكبر من خلال المجهودات التي بذلت لتحقيقه. إن البروتوكولات هى برنامج عالمى- ولا يوجد أدنى شك فى ذلك فى أى مكان، وهو البرنامج الذى ذكر فى هذه المقالات. أما فيما يتعلق بالتأكيد الظاهرى؛ أيهما أكثر أهمية وذو قيمة؛ توقيع أو ستة توقعات أو عشرون توقيعاً؟ أم خط متواصل من المجهودات بذلت طيلة ربع قرن لتحقيق هذا البرنامج؟

إن نقطة الاهتمام هنا لهذا البلد وفى بلاد أخرى هى ليس أن مجرمًا أو رجلاً مجنوناً هو الذى تصور مثل هذا البرنامج، بل إنه حينما تم وضعه، فإن هذا البرنامج وجد الوسائل التى تمكنه من تحقيق أهدافه، بل وأكثر مفرداته وتفصيله أهمية. إن الوثائق نسبياً غير مهمة؛ أما ما هو على درجة كبيرة من الأهمية فهو الاهتمام الذى نثيره هذه الوثائق تجاه الظروف التى أدت لظهورها.

(ديربورن إنديبننت، عدد ١٠ يوليو ١٩٢٠م)

* * *